



مكتبة لي جدتني

٤

العنبر فروز

ملك حاج عبيد

رسوم رنا قويدر



مكتبة لي جدتني للطباعة والتوزيع

كانت قريةً من قرى جميلةٍ تقعُ على ضفَّةِ نهرٍ صافٍ عذبٍ الماءِ، تحيطُ بها كرومٌ
التينِ والعنْبِ والرُّمانِ وأشجارُ التوتِ، أمّا ساحاتُ بيوتها فقد زُرعتَ بالخضراواتِ
والأزهارِ، فكانَ الناظرُ إليها منَ التلالِ القريةِ منها لا يرى إلَّا سطوحَ البيوتِ
الغارقةِ في الخضراء؛ لذلك أطلقَ على القريةِ اسمَ (الزُّمردة).

كانت قريةُ (الزُّمردة) تتعمَّ بالهدوءِ والأمانِ؛ فأهلُ القريةِ أقاربٌ وأصدقاءٌ، في
الصباحِ يخرجُ الجميعُ إلى الحقولِ فلا يبقى في البيوتِ إلَّا كبارُ السنِّ والأطفالُ،
وما كانَ يعْكُرُ أمنَ القريةِ إلَّا الشعالُ التي تغيرُ عليها ليلاً فتأكلُ دجاجاتها.

في هذه القريةِ كانت تعيشُ امرأةً عجوزًّا وحيدةً تدعى (أمُ السعد)، وكانَ ابنها سعدٌ
قد غرقَ في النَّهْرِ وهو يحاولُ إنقاذَ طفلةً صغيرةً جرفَها التَّيارُ، أمّا زوجُها فقد
تُوفَّى منذ عامينِ.

كانت أمُ السعدِ امرأةً لطيفةً طيبةً القلبُ، وكانَ أهلُ القريةِ يحبونَها، الكبارُ منهم
ينادونَها: أمي أم السعد؛ أمّا الشبابُ والأطفالُ فينادونَها: جدتي أم السعدِ، فهمُ
لم ينسوا أنَّ ابنها قد ضَحَّى بنفسِه لينقذَ الطفلةَ منَ الفرقِ.

كانت أمُ السعدِ تستعينُ على أمورِ حياتها بتربيةِ عنزتينِ وبعضِ الدَّجاجِ، فتعطي
الحليبَ والبيضَ لـ (سالم) الذي كانَ يجمعُ منتجاتِ القريةِ وينزلُ إلى المدينةِ
فيبيعُها هناكَ.

في أحدِ الأيامِ حلَّتْ أمُ السعدِ عنزتيها ووضفتْ وعاءَ الحليبِ أمامَ بابِ البيتِ
بانتظارِ سالم. تأخَّرَ سالمُ، فدخلَتْ أمُ السعدِ إلى المطبخِ لتصنعَ لنفسِها فِتجانًا
منَ القهوةِ، لكنَّ عندما عادَتْ وَجَدتْ وعاءَ الحليبِ فارغاً، قالتْ في نفسها:

- ليسَ منِ عادةِ سالم أنْ يأخذَ الحليبَ دونَ أنْ يُسلِّمَ علىَ.

بعدَ قليلٍ سمعَتْ صوتَ سالم: صباحُ الخيرِ يا جدَّتي، أينَ الحليبُ؟
نظرَتْ إليه مُندَهشةً وقالَتْ:

- ألم تأخذُه قبلَ قليلٍ؟

قالَ: لقدَ وصلْتُ لتوَّيِ. قالتْ دهشةً:

- إذنَ منْ أفرَغَ الحليبَ منِ الوعاءِ؟

شعر سالم بالحزن على أم السعد فقال
مواسياً: لا تهتمي يا جدتي، سأجلب لك
ماتشائين من المدينة.

في اليوم التالي حلّت أم السعد عنزتها
ووضعت الحليب ليأخذة سالم، ولكنها
فوجئت بصوت سالم يسألها:

- أين الحليب يا جدتي؟

خرجت إليه أم السعد وقالت:
- لا بد أنك تمازحني؛ فلقد وضعت
الحليب أمام الباب.

أقسم سالم إنه لم يأخذ الحليب؛ وأن لا
أحد في القرية يفكّر بأن يأخذ حليب أم
السعد. فقالت في نفسها: لا بد أن
أعرف الحقيقة وأكشف الجاني.

في اليوم الثالث وَضَعَتِ الحليبَ أمامَ البابِ وَاختبأتِ وراءَهِ وَحملَتْ بيدهَا عصاً غليظة، بعد قليلٍ سمعَتْ وَقَعَ خطُوطٍ خفيفةً ثُمَّ صوتٌ لعقِ الحليبِ، فخرجَتْ مُسْرِعَةً فوَجَدَتْ ثعلباً قد غطَّ رأسَهُ في وعاءِ الحليبِ وهو يلعقُ الحليب بسرعةٍ مذهلةٍ. أحسَّ الثعلبُ فِيروزُ بحركةِ أمِّ السعدِ فأرادَ أن يهربُ، لكنَّ عصاً أمِّ السعدِ كانت أسرعَ، فأصابت ذنبه وفصلته عن جسدهِ.

صرَخَ الثعلبُ فِيروزُ مِنَ الالمِ، وبَدَا الدَّمُ ينْزِفُ مِنَ الجُرْحِ، بينما راحَ الذنبُ يتلوى على الأرضِ، التقطتهُ أمِّ السعدِ.

تجاهَلَ الثعلبُ على نفسيهِ وقالَ : أرجوكِ أعطني ذنبيِ، لقد أصبحتُ مشوهاً.

قالَتْ أمِّ السعدِ : هذا جزاءُ السارقِ.

راحَ الثعلبُ يبكيُ ويتوسلُ إلَيْها : يا جَدَّتي أَعْطِنِي ذنبيِ لآعودُ إلَى بَلديِ ولا أرجِعَ إلَى القريةِ ثانيةً.

قالَتْ أمِّ السعدِ : مَنْ يصدقُ وَعْدَ الثعالبِ؟ ازدادَ بكاءُ الثعلبِ وقالَ :

- سَتَسْخَرُ مِنِي الثعالبُ وَتَقُولُ : إنِّي (أقطشُ).

نظرَتْ أمِّ السعدِ إلى الثعلبِ وقالَ :

- لَنْ أُعِيدَ لَكَ ذَنْبَكَ حَتَّى تُرْجِعَ إلَيَّ حَلِيبِي.



مشَى الثعلبُ حزيناً وهو يفكِّرُ كيفُ سيأتي لأمِّ السعدِ بالحليبِ؛ هل يطرقُ أبوابَ البيوتِ ويرجو الناسَ أن يعطوه حليباً؟ مُستحيلِ؛ فالناسُ قد يقتلونهُ عندما يرونَهُ، هل يجمعُ حليبَ الثعالبِ؟ مُؤكَّدٌ أنَّ أمِّ السعدِ ستعرِفُهُ منْ رائحتِهِ.

كانَ الجُرْحُ يؤلِمُ الثعلبَ، ويُؤلِمُهُ أكثرَ أَنَّهُ قد خَسِرَ ذنبَهِ ذَا الفِروِينِيِّ الجَمِيلِ.



راح الثعلب يسير في الأراضي
المحيطة بالقرية حزيناً؛ فرأى
مجموعة من الماعز، اقتربَ
منها وقال متسللاً :
أيتها الماعز اللطيفة أعطيني
حليباً أرجعه إلى العجوز
لتعطيني ذنبي فأعود إلى
بلدي. ضحكتِ الماعز هزّاً
بمنظر الثعلب وقالت:

- لن نعطيك الحليب حتى تقول لأشجار التوت أن تسقط ورقها لتأكله وتمتنئ
ضروعنا بالحليب: عندها نعطيك حليباً.

ذهب الثعلب إلى أشجار التوت وقال:

- أيتها الأشجار الجميلة الكريمة أسقطي ورقة حتى تأكله الماعز لتعطيني حليباً
أرجعه إلى العجوز فتعطيني ذنبي.

قالت أشجار التوت:

- هذا العام لم يرونا صاحب البستان جيداً، فقل للنهر أن يفيض ليروينا،
عندما تسقط أوراقنا فتأكله الماعز وتعطيك الحليب.

ذهب فيروز إلى النهر وقال: أيها النهر العظيم: فض بماءك على
بستان التوت لترتوي أشجاره وتُسقط ورقها لتأكله الماعز
فتعطيني حليباً أعطيه لأم السعد فتعطيني ذنبي
فكراً النهر وقال: منذ زمنٍ طويل لم يقم أهل
القرية الأفراح على ضفتى، أشعر
بالحاجة إلى الفرح، إلى صوت الغناء
والرقص، فقل لأولاد القرية أن يأتوا إلي
ليغنوا ويرقصوا على ضفتى؛ عندها
يفيض مائي.

ذهب فيروز إلى ساحة القرية حيث يجتمع الأولاد، وما إن رأوه حتى راحوا يُشيرون إليه ويضحكون ويقولون:

- انظروا إلى هذا الثعلب الأقطش.

شعر فيروز بالحزن فها هم أولاء الأطفال الذين لا يعني لهم الذنب شيئاً يسخرون منه؛ فكيف إذا ذهب إلى رفقاء الذين يتباهون بجمال أذنابهم؟

قال فيروز للأولاد:

- كان لي ذنب جميل لكن أم السعد قطعه.

قال أحدهم:

- لا بد أنك سرقت دجاجاتها.

قال فيروز:

- لا، ولكنني شربت حليب عنزاتها.

ضحك الأطفال وقالوا :

إذن لقد أخذت جراءك.

قال فيروز بانكسار:

- ولكن لو ساعدتموني أستطيع أن أستعيد ذنبي.

سأله أحدهم بفضول:

- وكيف نساعدك؟

قال:

- بأن نقيم حفلة على ضفة النهر، تغدون فيها وترقصون فيفرح النهر ويفيض ماؤه، عندها ترتوي أشجار التوت وتُسقط أوراقها، فتأكله العنوزات وتعطيني حليباً أرجعه إلى أم السعد فتعيد إلى ذنبي، أرجوكم اذهبوا معي إلى النهر.

تشاور الأطفال فيما بينهم ثم قال كبيرهم:

- لن نذهب معك إلى النهر حتى تأتينا بأحذيةٍ

جديدة، فأحذيتنا مهترئة لا تحتمل الرقص.

ذهب الثعلب إلى حداء القرية وقال:
- يا سيدي الحداء، أريد خمسة وعشرين حداءً لأطفال القرية. ضحك
الحداء وقال: لماذا تُريد الأحذية للأطفال؟
قال الثعلب: ليقصوا على النهر فيفيض ماؤه ويروي أشجار التوت فتسقط
أوراقها، فتأكله العنzas وتعطيني حليبًا أعيده لأم السعد فتعيد إلي ذنبي.
سخر الحداء من الثعلب وقال:

- أيها الماكرو، شربت حليب أم السعد
وتروياني أن أصنع أحذية لأطفال القرية
ليساعدوك على استرجاع ذنبك؟

قال الثعلب متسللاً:
- أعطيك كل ما تُريد.

قال الحداء:

- أريد خمساً وعشرين ليرة ذهبية.



انصرَفَ الثعلبُ حزيناً؛ فهو لا يملك الليراتِ الذهبيةِ التي طلبها الحذاء.

مشى فيروز إلى الغابةِ وأقى تحت شجرةٍ وراح يفكّر، قال في نفسه:

- لقد كنتُ غبياً، شربتُ الحليبَ في المرة الأولى ونجوتُ، وشربته في الثانية ونجوتُ، لولا الطمَعِ ما رجعتُ إلى العجوزِ مرتَّةً ثالثةً، ولما قطعَ ذنبي، ولما رجوتُ العنزةً وشجرَ التوتِ والنهرَ والأطفالَ والحداءَ أن يساعدوني، صارَ كلُّ يريدُ مقابلةً لما يعطيني، من أين سأتي للحداءِ بخمسِ وعشرينَ ليرةً ذهبيةً؟ إنني عاجزٌ عن المجيءِ بها، وسأبقى أقطلُشَ طوالَ حياتي .

لمع فجأةً في ذهنهِ فكرةً، تذكرَ مغارةً في الجبلِ يسكنُها اللصوصُ، ويختبئونَ فيها مسروقاتِهم؛ فراح يقفزُ من الفرحِ، وقامَ ليصعدَ الجبلَ، لكنَّ خاطراً طرأً على بالهُ: ماذا لو لم يكنَ في المغارةِ ذهبً؟ خمدتْ فرحةُ الثعلبِ فيروز وراح يتسلقُ الجبلَ على مهلٍ وهو يُفكّرُ.

عندما وصلَ إلى المغارةِ كانَ الوقتُ عصراً فأقى بعيداً عنِ المغارةِ يراقبُ اللصوصَ وقد أشعلاوا ناراً وراحوا يشونَ خروفاً وهم يأكلونَ ويسربونَ ويصخبونَ.

قالَ الثعلبُ:

- لن أ GAMER بالتسليل إلى المغارةِ، ولكن سأبقى حتى يذهبَ اللصوصُ، وعندئذٍ أبحثُ بين مسروقاتِهم.

عندما انسحبَ الشمسُ من الكونِ سمعَ فيروزُ اللصوصَ يقولونَ:

- الليلةَ سيكونُ صيدُنا دسمِاً؛ سنكمِلُ سرقةَ الذهبِ منِ القريةِ؛ ثم نغادرُ الجبلَ إلى مكانٍ آخرٍ قبلَ أن يكتشفَ الناسُ أمرَنا.

غادر اللصوص المغارة فدخل فيروز إليها وراح يفتش بين المسروقات حتى عثر على كيس مملوء بالليرات الذهبية.

حمل فيروز الكيس وانطلق يudo فرحاً، سيعود له ذنبه الجميل وسيتباهي بفروه الكثيف، ويُسَرِّح مع رفاقه في الحقول، ويتسلق الجبال، ولن يسخر أحدٌ منه بعد اليوم. توقف فيروز تحت شجرة توت وقال في نفسه:

- سأعُد خمساً وعشرين ليرة وأخْبئُ الباقي تحت الشجرة.

ثم ضحك وراح يرقص ويقول:

- لقد أصبحت غنياً.

عندما أشرقت الشمس كان الثعلب ينحدر باتجاه القرية. توجه إلى الساحة حيث يجتمع الأطفال وناداهم: أيها الأطفال تعالوا معي إلى الحذا وسأعطيكم مالاً ليصنع لكم الأحذية.

ضحك الأطفال من الثعلب في البداية؛ ولكن عندما أراهم الذهب توجهوا معه إلى الحذا.



نظر الحذا إلى الثعلب والأولاد ساخراً وقال:

- هل جئتني بالليرات الذهبية؟

لوح الثعلب بالليرات فاقتصرت عينا الحذاء دهشة وقال: من أين جئت بها؟
قال الثعلب:

- هل سألك من أين جئت بالجلد الذي تصنع منه الأحذية فتسألني من أين جئت بالذهب؟ هذا نصف ثمن الأحذية وسأسلمك الباقي عندما تسلّماني الأحذية، أخذ الحذاء مقاسات أقدام الأطفال فسألوه : متى تسلّمنا الأحذية يا عم؟
قال: بعد أسبوعين.

قال الثعلب: ولكنني لا أستطيع أن أبقى أسبوعين بلا ذنب، أرجوك أسرع بصنع الأحذية. قال الحذاء: سأعمل ليلاً ونهاراً لأنها في أسبوع على شرط أن تعطيني خمسين ليرة.

قال الثعلب في نفسه: يا له من طماع إنه ينتهز حاجتي ليضاعف الثمن، لكنه وافق على الشرط. راح فيروز يتجوّل في الغابة والكروم، يستعجل الأيام أن تمر لاستعيد ذنبه ويعود إلى بلده.

في اليوم السابع ذهب إلى الحذاء فوجد الأحذية مصقوقة في أرض الدكان؛ عندها أسرع إلى بيوت الأطفال وراح يدق الأبواب ويقول: أسرعوا أيها الأطفال لتأخذوا أحذيتكم الجديدة.



فتح الأولاد أبوابهم واندفعوا يركضون فرحين، عندما وصلوا إلى دكان الحذاء راحوا يتدافعون ويتصايرون وهم يلبسون الأحذية الجديدة ثم انطلقوا إلى النهر. عندما وصلوا إلى ضفة النهر غنو كثيراً ورقصوا؛ وفيروز يشجّعهم ويرقص معهم، علا صوت المرح والغناء، عندها شعر النهر بالفرح؛ فتعالت أمواجه وجرى الماء في قنوات الري، وسال على الأرض حتى وصل إلى أشجار التوت.

شربت أشجار التوت حتى ارتوت؛ فنبتت أوراق خضر جديدة، وتساقطت الأوراق القديمة على الأرض فبدت كبساط أخضر، عندها أسر فيروز يدعو العنوز إلى وليمة الأوراق المتساقطة، تراكتض العنوز إلى أشجار التوت وهي تشغّل وتضحك وتقفز، أكلت العنوز كثيرا فامتلأت ضروعها بالحليب وقالت:

- شكرأ لك أيها الثعلب، الآن نستطيع أن نعطيك الحليب. أسرع الأولاد إلى العنوز فحلبواها وأعطوا الحليب لفيروز. حمل فيروز وعاء الحليب وذهب إلى أم السعد، طرق بابها، ولما فتحت له قال: يا أم السعد هذا حليبك فأعطيوني ذنبي. أعطت أم السعد الذنب لفيروز، لكنه فوجئ بأن الذنب قد أصبح يابساً، وأن لمعان الفروع قد انطفأ، فقال في نفسه: لا يهم سألصقه بالصمغ.

ذهب فيروز إلى شجرة الصمغ، وأخذ كتلته من جذعها ونقعه بالماء، وحاول أن يلصق الذنب بالصمغ، لكن الذنب سقط عند أول خطوة.

عدة مرات حاولَ فيروزُ أن يُعيدَ الذنبَ إلى موضعه، ولكنَّه لم يستطعْ .. بَكى فيروزُ كثيراً؛ فقد أیقَنَ أنه سيبقى أقطشاً طوالَ حياتهِ، وستعيِّرُهُ الثعالبُ بعاهتهِ، ولن ترضي أيةٌ ثعلبةٌ أن تتزوجهُ، ولن يصبحَ لدِيهِ أولادٌ وسيعيشُ وحيداً.

تسلَّلَ فيروزُ إلى الغابة؛ فرأى رفقاءً يلعبونَ ويمرحونَ ويحرّكونَ أذنابهم ذواتِ الفروِ اللامعِ، وما إن وقعت نظراتُهُ عليهِ حتى ضحِّكُوا وقالوا:

- انظروا إلى فيروز كيفَ أصبحَ أقطشاً!

شعرَ فيروزُ بالقهرِ والغضبِ، وتمتنَّى لو يقعُ لهم حادثٌ يقطعُ أذنابهم فِيُصيِّبُوا جمِيعاً مِثلَهِ، وعندَها لن يعيِّرُهُ أحدٌ. بقيَ فيروزُ أياماً وهو معتزلٌ لا يدنو من رفقاءِ ويحاذِرُ أن تقعَ أعينُهُمْ عليهِ.

طافَ في الغابةِ وهو حزينٌ، ثم نزلَ إلى القريةِ فرأى كرومَ العنبِ قد نضجَتْ، وسمعَ أصحابَها يقولونَ: حانَ قطاوْفُها، فلمَعَتْ في ذهنِهِ فكرةٌ جعلَتْهُ يُطلقُ ضَحِّكاتٍ عالِيَّةً.

عادَ إلى الثعالبِ في الغابةِ وهو يعودُ، فقالوا ساخرينَ:

- مؤكَّدٌ أنَّ سرعتكَ في الركضِ زادَتْ بعدَ أنْ فَقَدْتَ ذنبَكَ.

لكنَّهُ تجاهَلَ سخريَّتهمْ وقالَ:

- لقد عثَرتُ على كرمٍ قد أثقلَتْ دواлиهِ بالعنْبِ حتى كادَتْ تقتربُ من الأرضِ، والنواطيرُ سيفيرونَ الليلةَ ليحضرُوا عُرساً في القريةِ، تعالوا نسطُّ على الكرمِ في غِيابِ أصحابِهِ.

سادَ الفَرَحُ بينَ الثعالبِ، ففي هذهِ الليلةِ سيأكلُونَ العنبَ ويشبعونَ ويمرحونَ دونَ أن يخافُوا مهاجمَةَ النواطيرِ.

سمِعَتْ الضبعُ الحديثَ فسارتُ وراءَهُمْ تمنيَ

النفسَ باصطياـدِ غزالٍ أو أرنبٍ يكونُ طعاماً لها

وصل الجميع إلى الكرم، وسرعان ما تسلقت الثعالب الدوالي وراحت تلتئم العنبر، كانت الثعالب غارقة في نشوة الأكل بينما اختبأت الضبع وراء شجرة الرمان لترافق ما يحدث.

تسلل فيروز إلى الثعالب المنهمكة بالطعام، وربط أذنابها إلى دوالي العنبر، ثم ذهب إلى صاحب الكرم وصاح بأعلى صوته: يا صاحب الكرم، أكلت الثعالب عنأيتك. هب صاحب الكرم مع أولاده وعماليه وبيد كل منهم عصا غليظة، عندما رأت الثعالب هجوم أصحاب الكرم عليها قفزت عن الدوالي، لكن أذنابها بقيت عالقة، فجاء الرجال وضرموا الثعالب وقطعوا أذنابها.

انطلقت الثعالب ترکض وهي تعوي من شدة الألم؛ وراحت تقفز والدماء تتزلف منها. عادت الثعالب إلى الغابة وهي تعوي وتصرخ وتسائل: - ما الذي أعاد صاحب الكرم إلى كرمه؟ من الخائن الذي أخبره أننا نأكل عنبه؟ من بعيد جاءت الضبع وقالت: الخائن منكم، إنه فيروز، لقد سمعته وهو ينادي صاحب الكرم.

عندما قال فيروز:

- أردت أن أصبح جميماً (قطشان) فلا يعيّر واحداً مينا الآخر.

صرخوا بصوت واحد:

- أنت أناني، أنت خائن.

وهجموا عليه يريدون قتله، لكنه

انطلق أمامهم كالسهام.

هجر فيروز الغابة؛ وعاش

وحيداً لا يجرؤ على العودة إلى

رفاقه بعد أن غدر بهم وأذاهم.

